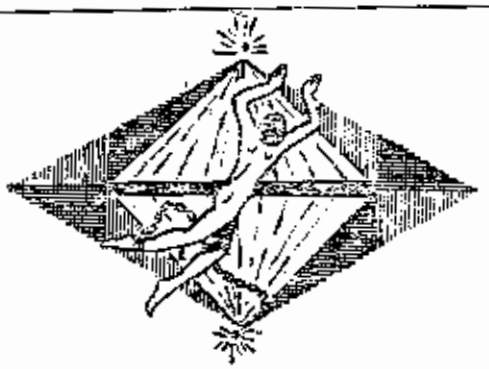

موت الشاعر

لعلي محمود طه المهندس

مَالوا بِمِصْباحِ البَيَانِ مَصَابَا ... ومَشَوا بِهِ فِي الذَّاهِبِينَ رُوَاحَا
ومَضَوا بِهِ إلَّا شُعَاعاً لَمْ يَزَلْ ... فِي الأَرْضِ يُؤْنِسُ بِالسَّنَى وَضَّاحَا
تَهْفُو النُّجُومُ إلَى سَنَاهُ وتَهْتَدِي ... نَشْوَى كَأَنَّ مِنَ الأَشِعَّةِ رَاحَا
وعَلَى جَوَانِبِ أَرْضِهَا وسَمَائِهَا ... شَفَقٌ تُقَلِّدُهُ السَّمَاءُ وِشَاحَا
هَذَا شُعَاعُ العَبْقَرِيَّةِ لَمْ يَزَلْ ... يُولِي الحَيَاةَ ضَلَاقَةً وسَمَاحَا
قَدَّرَ الخُلُودَ لَهُ وبَارَكَ أَنَّهُ ... رَبٌّ أَرَادَ بِهِ هُدًى وصَلَاحَا
أَجْرَى البَيَانَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ... غَدَقاً مِنَ السِّحْرِ المُبِينِ فَرَاحَا
وحَبَا بِهِ الشُّعَرَاءَ مِنْ أَلْبَابِهِ ... فَشَدَوا بِأَلْسِنَةِ الطُّيُورِ فَصَاحَا
لَمَّا مَشَى فِي الأَرْضِ فَجَّرَ مَسْحَرَهَا ... مَاءً وَنَصَّرَهَا رُبًى وَبِطَاحَا
وأَثَارَ فِي شَرَفِ السَّمَاءِ نُجُومَهَا ... تَتْلُونَ مِنْ آيَاتِهِ الأُولَاحَا
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا ضُحًى وكَأَنَّمَا ... فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ رَأَى مِصْبَاحَا

* * *

قُلْ لِابْنِ عَدْنَانَ لَادَوَنْتَ لَكَ كَرْمَةٌ ... فَلَقَدْ أَرَبَّ هَزَارُهَا الصَّدَّاحَا
قَدْ كُنْتَ فِي أَمَمٍ نَزِيلَ رِحَابِهَا ... فَنَزَلْتَ أَشْرَفَ مَا أَبَلَّغُ سَاحَا
أَلْقَى وأَسْمَعُ عَبْقَرِيًّا مِثْلَهُمْ ... طَلْقَ المُحَيَّا مَاجِداً مِسْمَاحَا
يُولِي النُّفُوسَ بَشَاشَةً ويُنِيلُهَا ... أَدَباً ويَسْقِيهَا الوِدَادَ صُرَاحَا
أَنِسَتْ زَمَاناً بِالبَيَانِ وأَهْلِهِ ... حَتَّى تَبَدَّلَ أَنَّهَا أَرْوَاحَا
وَقَفَتْ بِيَ الدُّنْيَا عَلَى جَنَبَاتِهَا ... فَرَأَيْتُ حُزْنَاً واسْتَمَعْتُ نُوَاحَا

وشهدتُ فيلَ الموتِ فوقَ فيالقِها ... يغشى الرُّبى ويجدِّلُ الأدواحا
وجبيتُ وكانتْ بالطبيرِ شواغراً ... تستقبلُ الإمساءَ والإصباحا
وذوتْ أزاهيرُها ونُضِّرَ طيرُها ... يمرو ويقطرُ أدمُعاً وجراحا
يبكي من الصدرِ الوَرودَ لجدولٍ ... كم عبَّ من دفّاتِهِ وامتاحا
لما نُعيتَ لها تزايلَ حُسنُها ... وصفا الرَّبيعُ بوجهِهِ وأشاحا
مرّيّان بعدكَ يابنَ حاءِ دهرُها ... يسري نسيماً أم يهبُّ رياحا

***

قُمْ وابكِ لي شعرَ النُّبوغِ وقُلْ لهُ ... أمضى زمانُ النابغينَ وراحا؟
واهتفْ بصومعةِ البيانِ فقد خلا ... عهدُ الرسالةِ بالتقريضِ وطاحا
ولّى بسرِّ العبقريّةِ شاعرٌ ... اللهُ هيّأهُ لنا وأتاحا
لم تسعدِ الفصحى بمثلِ يراعهِ ... يوماً ولا لقيَ الخيالُ جناحا
شعرٌ حوى الدنيا ولفَّ حُسنَها ... سوراً ومنّاها مُنىً وطماحا
يستلهمُ الأكوانَ وحيَ خواطرٍ ... حتى لينطقُ وحيُها إفصاحا
ويزيحُ عن ماضي العصورِ ستارَها ... فترى بها الغادينَ والرُّواحا
هو مثلُ هذا الطيرِ في سنداحهِ ... والزهرِ لطفاً والسريرِ نداحا
وأراهُ كالبحرِ الخضمِّ عُبابهُ ... يُخفي مسدّاهُ الحائضُ السبّاحا
ويظنُّهُ الملاّحُ طوعَ شراعهِ ... فيردُّ عن غمراتهِ الملاّحا
يُهدي، اذا هدأ، الثرى أسدافهُ ... واذا تمرّدَ، درَّهُ الانماحا
وأراهُ حينَ يرقُّ طائرَ نسمةٍ ... واذا قسا فالعاصفَ المُجتاحا
شعرٌ يشفُّ عنِ الحياةِ وداعةً ... ويثوجُ منها ثورةً وكفاحا
ويُبينُ من غضبِ النفوسِ وصفوها ... مثلَ الحياةِ كآبةً ومراحا
ويفيضُ من نبعِ القلوبِ فآنةً ... ماءً، وآناً جامحاً لفّاحا
والشعرُ مرآةُ الحياةِ ولم يزلْ ... يجلو الرؤى ويُصوّرُ الأشباحا
والشعرُ من أدبِ النفوسِ ولن ترى ... من دونهِ حِدْياً ولا إصلاحا
ولقد تذوّقتُ الحياةَ فلم أجدْ ... كالشعرِ ريّاً للنفوسِ وراحا

***

قلْ للكنانةِ عن رمائكِ أقصري ... فلقد فقدتِ الرأيَ النضّاحا
صيّادُ أسرابِ الجمالِ اذا رنا ... جاءتهُ ما عرفتْ لديهِ جماحا

يدني القصيَّ من الشوارد لفظُهُ ... ويروضُ منها النافرَ المراحا
من كلِّ معنىً للروائعِ حافلٍ ... يُجلَى كما تجلى الشموسُ صباحا
وقصيدةٍ كالروضِ بكرِ الحيا ... فاهتزَّ ريحاناً ورنَّ أقاحا
من للطبيعةِ يستزيدُ جمالها ... غُرراً كآياتِ الكتابِ وضاحا
ذهبَ الذي غنَّى خمائلَ روضها ... حتَّى مددنَ الى النسيمِ الرَّاحا
المرقصُ الزهراتِ فوقَ غصونها ... والمستخيفُ عبيرَها القرَّاحا
والمسعِدُ الأيكاتِ منهُ بملهمٍ ... كانتْ به الجنَّاتُ قبلُ شِحاحا
أوحَى لهُ المرحَ الوجودُ فصاغهُ ... شدْوًا، وعلَّمهُ النُّواحَ فناحا
لمَّا جلا سرَّ الحياةِ لقلبِهِ ... أفضَى بأسرارِ القلوبِ وباحا
سُبحانَ من أهدى الخيالَ براعهُ ... وهدى لهُ الإبداعَ والإسجاحا
فتسمَّعوه فلم يزلْ من شيخرِه ... شادٍ يهزُّ بسحرِه الأرواحا

***

يا نازحاً عنَّا رلتَ بعالمٍ ... تلقى الأحبةَ فيهِ والنُّزَّاحا
فاحللْ بجنَّاتِ الخلودِ وروِّ من ... عينِ النعيمِ فؤادكَ المُلتاحا
واملأ من الزهرِ المنوَّرِ والجنَى ... كفَّيكَ واضرحْ عنكَ الدمَّاحا
سترى الرسولَ على مسطرِ روضها ... يهدي إليكَ ببابها المفتاحا
يعنى (بحسَّانٍ) إليكَ وأنَّما ... وضعانِ من فجرِ النبوةِ لاحا
يختالُ في بُردِيَّةٍ من بردةٍ ... حاكَ القريضُ خيوطَها أمداحا
يستانُ من ميلادهِ شوقيةً ... الله كانَ لمسكِها النفَّاحا
فاشرحْ هواكَ لهُ وبثَّ لواعجاً ... كانتْ لهنَّ دموعكَ الشرَّاحا
أبلغْ إلى (صبري) التحيةَ والهوى ... عنَّا وحيِّ جبينَه الوضَّاحا
وامسحْ دموعكَ عن أسيرةِ (حافظٍ) ... فلقد لقيتَ بقربهِ الأفراحا
وتساقَ أقداحَ المسرَّةِ معهما ... فلكمْ ملأتَ بمدحِكَ الأقداحا
واذكرْ على الأرضِ الشقيةِ رفقةً ... باتوا عليكَ يقلِّبونَ الرَّاحا
في عالمٍ ما زالَ في غلوائهِ ... ومُنىً على رثِّ الحطامِ تلاحى
أشرقْ بوجهكَ في غياهبِ ليلهِ ... يخلعْ دجاهُ اذا جبينُكَ لاحا
وأضِ على شطِّ الحياةِ منارةً ... وأطلعْ بكلِّ دجيَّةٍ مصباحا
ونمِ الغداةَ وحسبُ روحكَ أنْ ترى ... من نورِ مجدِكَ هذه الأوضاحا